

هاجس السلطة والتوتر الثنائي في رواية الكافية والوشام لمحمد مفلح

The Obsession with Power and Binary Tension in Al-Kafiya wa Al-Wisham by Mohamed Meflah

نوال مدوري

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي تبسة (الجزائر)، meddouri.nawel@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2025/08/26 تاريخ القبول: 2025/11/01 تاريخ النشر: 2025/11/01

Abstract:

Ideological transformations have strongly influenced contemporary Arab creative discourse, shaped by crises across historical, religious, political, and social dimensions. Within this context, Mohamed Meflah's *Al-Kafiya wa Al-Wisham* critiques political reality and its impact on social values, reflecting conflicts of ideological, religious, and economic nature. The study asks: How did Meflah transform political disruptions into an ideologically driven artistic system, and how did institutional authority affect the relationship between the self and society?

Key words: Ideology; Obsession; Novel; Self and Otherness.

الملخص:

لقد هيمنت التحولات الأيديولوجية على الخطاب الإبداعي المعاصر، نظر لطبيعة المرحلة التي تمرّ بها الأوطان العربية من تأزم لأمس الأصعدة كلها (تاريخية، دينية، اقتصادية، فكرية، سياسية، اجتماعية..) انتقل صدى هذه الأوضاع الى عالم الابداع، تبرز رواية " الكافية والوشام " لتسقط انتقادها للواقع السياسي وما ساوقه من اختلالات على سلم القيم الاجتماعية تولدت من صراعات وتحولات ايديولوجية فكرية ودينية وسياسية ذات أبعاد اقتصادية، على عالمها الروائي: فكيف استثمر محمد مفلح اضطرابات الراهن السياسي ليشكل نسقا فنيا مؤدجا؟ وهل كان للتمفصل السلطوي المؤسستي تداعيات على توتير الصلة بين الأنا والتركيبية المجتمعية؟
كلمات مفتاحية: ايدولوجيا؛ هوس؛ رواية؛ الأنا والغيرية.

1. مقدمة:

لقد هيمنت التحولات الايديولوجية على الخطاب الإبداعي المعاصر، نظر لطبيعة المرحلة التي تمرّ بها الأوطان العربية من تأزم لأمس الأصعدة كلها (تاريخية، دينية، اقتصادية، فكرية، سياسية، اجتماعية..)

حيث إنّ الرؤية السائدة تقوم على نقد الأنظمة التي أسهمت بيد أو بأخرى إلى تجريد الفرد العربي من مقوماته القيمية الانسانية والروحية، ما أنتج توترا وتيتها أفضى إلى فوضى سياسية كانت نتائجها مأساوية اجتماعيا وانهيارا اقتصاديا، اذ تسارع الفرد الجزائري إلى الاستغلال المادي والمعنوي في علاقاته مع مؤسسات الدولة.

انتقل صدى هذه الأوضاع الى عالم الابداع وتناولته أقلام المبدعين - المثقفين - كل حسب صلته بالكتابة وتوجهه الأيديولوجي.

تبرز رواية" الكافية والوشام" لتسقط انتقادها للواقع السياسي وما ساوقه من اختلالات على سلم القيم الاجتماعية تولدت من صراعات وتحولات ايديولوجية فكرية ودينية وسياسية ذات أبعاد اقتصادية، على عالمها الروائي:

كيف استثمار محمد مفلح اضطرابات الراهن السياسي ليشكل نسقا فنيا مؤدجا؟ وهل كان للتمفصل السلطوي المؤسساتي تداعيات على توتير الصلة بين الأنا والتركيبية المجتمعية؟

2. ضبط مفاهيمي:

انطلاقا من مفهوم إبراهيم مذكور القائل إن الأنا هو نفسه " الذات "حيث يورد: "الأنا هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعا وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائما واحد ومطابق لنفسه. وليس من اليسر فصله عن اغراضه، ويقابل الغير والعالم الخارجي ويحاول فرض نفسه على الآخرين وهو أساس الحساب والمسؤولية." (مذكور، 1883، صفحة 23) أي مبدأ التلازم بين الأنا والذات مقابل الغير، ذلك أن الذات هي: "تكوين معرفي منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات يبلوره ويعتبره تعريفا لذاته ويتكون مقوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المتسقة المحددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكيونته الداخلية أو الخارجية وتشمل هذه العناصر المدركات والتصورات التي

تحدد الصورة التي يعتقد أن الآخرين في المجتمع يتصورونها والتي يتمثلها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين" (البديري، 2005، صفحة 182)

لما للذات من تأثير على السلوك الإنساني للفرد المتمظهرة من خلال تعاملاته مع الآخر، حيث تبنى الشخصية الإنسانية عبر تفاعلاتها السلوكية مع أفراد المجتمع .

أما المقابل الآخر المتفاعل مع الذات فهو "الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية وتقويضها والآن نفسه، وهو يتداخل ويتمارى في سلسلة غير منتهية تبدأ من أدق الاضطرابات الذاتية في علاقة الذات بالذات، عبر زمن شديد الصلة، ولا تنتهي إلا بانتهاء الوجود البشري في الزمان والمكان، فالفرد يمكن أن يكون آخر حتى بالنسبة لأي شخص على وجه الأرض" (صلاح، 2003، صفحة 10) فالآخر جزء من الذات وبنائقة انتقاء للذات، كونها أساسا المعرفة والتفاعل حيث يتعدد الآخر حسب موقعه وزوايا النظر، إذ يمكن أن يتحول إلى الأنا مقابل الفرد/الآخر المناظر له.

حسب رأي تودوروف (T. TODOROV) القائل بـ: "فأنا آخر لكن الآخرين أيضا أنوات أنهم ذوات شأنهم في ذلك شأني لا تفصلهم ولا تميزهم بشكل حقيقي على نفس غير وجهة نظري، والتي بموجبها يعتبرون كلهم بعيدين، بينهما أكون أنا وحدي هنا" (العويديات، 2010، صفحة 20) فالأنا هي الموجه والمحدد للآخر المختلف والمغاير، ذلك ما يحدد العلاقة الثنائية التي تربط الأنا بالآخر باستقراء المواقف أو الأطر إما قبولاً أو ارتداداً، وغني عن البيان أن هذه الثنائية قد استثمرت في مجال الدراسات الأدبية والنقدية، لذا تترجع الدراسة على رواية "الكافية والوشام" لمحمد مفلح، لتفتح سبلاً من الرؤى والأيديولوجيا في ظل تبدلات القوى وبالأخص السياسية منها، فتغيرت أنظمة وصمدت أخرى مثيرة أسئلة عديدة أبرزها سؤال الذات والقضايا التي عرضت طرحاً، ولا شك أن شهوة السلطة وما صاحبها من ارتدادات شكلت هاجسا ضمن فترة زمنية (5 أكتوبر 1988م) بما ترصده من إحداث نقلة سياسية واقتصادية دشنت بدء مرحلة جديدة. تحمل في ثناياها إشكالا حول مستقبل الجزائر والفرد الجزائري بما تمثله الدراسة من قراءة جديدة للآخر انطلاقاً من الأنا من جهة ومن خلال التغيرات التي شهدتها مؤسسات الدولة السياسية والاقتصادية في توافق متورط جسده رواية الكافية والوشام.

3. هاجس السلطة والمسار المتوتر للشائيات:

استلهم الروائي محمد مفلح مادته الحكائية من واقع سياسي مأزوم، إذ قام ببسط التحولات الأيدلوجية المتضادة بوحي وشغف مثقف بحركة سردية تستدرج شخصيات الكافية ثم لا يلبث أن يحاصر الأنا ممثلة في السلطة بكل تداعياتها على الغير/المجتمع، فـ: "داخل هذه التمفصلات الحكائية، إذا تتم.

صياغة خطاب روائي وفق جملة من التقنيات التي تصوغ أدبية النص وتتفي عنه صفة التقريرية" (أحمame، 1999، صفحة 69)

إذ يمثل الأنا في الرواية موقع الوعي والتمركز الاستقطابي والصراع السياسي مع الغيرية، لذ تفتتح الرواية بتأسيس هاجسي مقلق عن شرعية سلطة ترأس مؤسسة "الكافية" والخوف من فقدانها ليزرع محمد مفلح هوسا بين شخصيات الرواية تعمق الحوار مع الأنا ثم تنتقل إلى الغير/الآخر، إنها أنا مفتوحة ومتفاعلة مع الواقع السياسي؛ حيث يمكن تصنيف رواية الكافية والوشام ضمن سياق "أدب المرحلة" بكل ما يشكله من هاجس واقعي، وما يحمله من تفاصيل دقيقة تخاطب الذاكرة" (بن جلولي، 2008، صفحة 117) ما عرفته المرحلة الانتقالية من فوضى واضطراب سياسي -أحداث أكتوبر 1988- في محاولة من المبدع مقاسمة القارئ هاجس سلطة ما بعد الاستقلال وشبح الفقر، جاء في الرواية "حرارة اليوم لا تبشر بخير، والمدينة كعادتها تنتظر بلا أمل، سنوات ممطرة لا يخرج فيها الناس من بيوتهم ... وأصبح الجفاف العنيد شبحا مخيفا في مرحلة ولدت فيها أحزاب كثيرة مختلفة البرامج والمشاريع وأصبحت الخطب الحماسية ترد في كل مكان في المقاهي والأسواق.. وكأنها العلاج السحري لأزمات أفرزها واقع معقد دَوَّخ كل المهتمين بالمجتمع والسياسة" (مفلح، 2023، صفحة 11)

بلغ الهوس بالسلطة والثراء السريع ولد ظاهرة دخيلة على المجتمع الجزائري هي ظاهرة الفساد والاستغلال الذي ما هو إلا رجع صدى اختلاف الأيديولوجيات وتعدد الأحزاب وتصارعها بأشكال متعددة "مثلت الانتكاسة السياسية ثم الثقافية والفكرية الأدبية فترة انكماش ثقافي أشبه بالغيوبية" (بن قينة، 1995، صفحة 41)

خاصة بعد فشل محاولات الإصلاح العبثية التي ستوضح في أحداث الرواية وفي باقي أعمال محمد مفلح ولكن بملامح وأشكال وطموحات مختلفة ويخطاب محمل بتأويلات

لكل أشكال الفساد والفسل السياسي الذي نخر مؤسسات الدولة "الكافية" وجسّد صورة المواطن بعد أن أفرغت الشعارات الوطنية من بعدها النضالي.

ينتقد الروائي تهافت الطبقة الانتهازية، وبروز أثرياء المرحلة خاصة بعد استدعائه شخصية المرأة التي تدلف عالم السياسة زمن الفساد، شخصية فتية الحلاقة تسعى للظفر بامتيازات المؤسسة اقتصادية الكافية؛ (الفيل والسيرة) بعد فشلها في مراحل الدراسة الإعدادية وتغييب أمل والدها، في رمزية إلى خيبة أمل الشعب لما حملته فترة ما بعد الاستقلال من خيبات متوالية، وكإضاعة مباحة اتضحت حقيقة فتية الوشام، التي تعد خير دليل على إفرازات الفشل المؤسسي كون ميلاد فتية الوشام هو ميلاد لأشباه الضحايا والمأزومين وفي هذا السياق يعود بنا محمد مفلح إلى ماضي فتية مستعرضا أحلام والدها - أحلام الشعب - " فرح فرحا عظيما لما أنجبت زوجته فتية التي تشبه والدته عائشة لخلقوية .. قال في نفسه أنه سيجرب على تعليم ابنته حتى تخرج طبيبة فهو يحب مهنة الطب ويحترم أصحابها كثيرا ... خيبت فتية ظنه .. وكادت تقتله بمشاكلها التي لم تنته إلى حد الساعة. تقاعست فتية في دراستها ثم توقفت بعد السنة الرابعة إعدادي. قرّرت أن تلتحق بمعهد التكوين المهني لتتعلم الحلاقة. ولم يكن سي المهدي الوشام راضيا على ابنته التي أصبحت منذ مراهقتها مهتمة بزينتها واطهار مفاتنها المثيرة بل أصبح خائفا من تهورها" (مفلح، 2023، صفحة 105) لذا نجد أحداث الرواية مزدحمة بشخصيات المنحليين والضعفاء، الذين تغلغوا في نسيج السلطة والرّج بالجزائر "الكافية" إلى حافة الانهيار؛ "الفرصة مناسبة لتنفيذ خطتها في هذه المرحلة التي عمّا الصّخب الإعلامي، والعنف اللفظي واختلطت بها المفاهيم منذ أحداث أكتوبر 1988، ولم تعد فتية الوشام قادرة على التمييز بين التيارات السياسية المتصارعة في جو مشحون بالأحقاد الدفينة. (مفلح، 2023، صفحة 105) اختزل المقطع توتر العلاقات الاجتماعية المعتمدة على سطوة المال والسلطة وفي: " في 5 أكتوبر 1989 شهدت الجزائر ظاهرة تخريب الأملاك العمومية وشهدت دستور جديد عام 1989، فتح المجال أمام التعددية بنصه على إنشاء الجمعيات ذات نشأة ذات طابع سياسي وكان أول امتحان لهذا التغيير الانتخابات المحلية التي جرت في 12 جوان 1999 والتي فاز فيها حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ بنسبة 54.25%"

(دروش، 2012، صفحة 79) ما وُلد ايدولوجيا العنف، إضافة إلى أيديولوجيا تحرر المرأة أي أيديولوجيا ضد البطريكية، وما اختيار محمد مفلح لشخصية فتية الوشام إلا لنقل صوت المرأة وتمير تلك الايدولوجيا العقيمة التي يرفضها محمد مفلح منتقدا كل ما يمارس في حق المرأة بالمجتمع الجزائري، ورصد صراعا (فتية/المرأة بعد الاستقلال) مع ظروفها المأساوية التي هي في نظره ضحية المجتمع، لذلك تضيع في متاهة سلبيات الواقع الإيديولوجي الاقتصادي والبراغماتية والعنف، فشخصية فتية تعاني القهر الاجتماعي ممثلا في علاقتها مع الآخر/الرجل، وما تعرضت له من إذلال وضرب واستغلال على يد من سبق من أزواجها يقول السارد: "إنها لا تريد أن تتذكر زوجها الأول عيسى العنوني، تاجر الخضر الذي ترك على جسدها البضّ جروحا عميقة ما زالت ندوبها بارزة على ذراعها اليسرى، وهي تكره ذكر ذلك السّادي الذي كاد أن يقتلها" (مفلح، 2023، صفحة 13)، أما زوجها المثقف المهندس سعيد الهواري لم يدم طويلا وكانت السياسة سببا في فراقهما الهادئ ... لأنه كان يريد منها أن تصبح مناضلة في حربه لا أمّا في بيته" (مفلح، 2023، صفحة 12) تضيع فتية بين بحثها عن استقرار وأمومة زمن البطالة وتهاوي المقومات الأخلاقية للمجتمع الجزائري، لذا نجدها تسعى لتغيير واقعها بعد كل هذا الفشل والعذاب تتحول إلى امرأة براغماتية، فالمهم أن لا تعيش في فقر حي "القرابة" تقبل على الزواج من أحمد معاليش الذي يفوقها سنا وثراء فهو صاحب "قيلا النورة"، لتعيش أسوأ أنواع الإهانات أمام الأصدقاء والجيران، فزوجها الثري يحتقرها ويهددها بإرجاعها لحي الفقر والبؤس ما وُلد لديها رغبة الانتقام والحق لدرجة التفكير والتدبير لقتله، كلها انعكاسات ما بعد أحداث 1988م أي بعد الأزمة الأمنية والاقتصادية، شاع العنف الجسدي واللفظي؛ يحدد هذا الزمن الطارئ على الوطن الذي زلزل العلاقات المجتمعية ووترها ف: "منذ أحداث أكتوبر 1988م تغيّر مزاج زوجها، وأصبح عصبيا ... لامته يوما عن إيمانه الخمر ... فسبّها وأسمعها ما جرح كرامتها. قال لها بأنها فاسقة وابنة ساقطة، وهو من أنقذها من بيت السوء ومخالب الحرمان ... كانت الصدمة قوية لم تتوقع أن يكون بذيئا وقذرا بشكل غريب. ثار عليه حقدّها القوي..." (مفلح، 2023، صفحة 9)

وسط هذا المناخ المضغوط بقساوته تنتكس حياة فتية مجددا فتحاول الاعتماد على أحميد الرفاف لقتل زوجها، لكنه استغلها في الحصول على عمل بمؤسسة "الكافية" ثم انتقم

منها، وأحال حلمها بأنها معه "ستعوض كل سنوات الحرمان التي قضتها بائسة من دفع الحب العنيف والسعادة الغامرة". (مفلح، 2023، صفحة 17)

يدلف بنا محمد مفلح إلى أجواء توتر والتباس المتسمة بالجرأة (الإقدام على القتل) وتقوم المرأة بدور أساسي في الرواية حين تخطط لقتل زوجها مدير الكافية ليس طمعا في السلطة/ الإدارة ولكن انتقاما من إذلاله ورغبة في الحصول على الفيلا وأمواله ثم تندم بعد أن غدر بها أحميدة وتخبر زوجها عن تخطيط أحميدة الرفاف للإطاحة به من ترأس "الكافية" هذا التذبذب والتوتر يعد شحنات جسدت ثيمة الانتهازية والعنف التي مرت بها شخصية فتيحة وهي الشخصية المركزية في النص ترمز إلى واحد من أهم التأويلات المعبرة عن ايدولوجيا عالم محمد مفلح في الاشتراكية إذ تستيق فتيحة بعد طلاقها على صوت أهم مبدأ من مبادئ الاشتراكية وهو نبذ البراقماتية، لذا تقرر التحرر من سلطة الآخر/الرجل، وتعتمد على نفسها بالحصول على عمل والعودة إلى حيها وطبقتها "حي القرابة"، لتشرق النهاية بمغازلة الشعب بمبادئ الاشتراكية كأفضل حل حيث تذوب الطبقات، إنها الايدولوجيا الايجابية المخلصة للشعب حيث تتطلق دعوة مفلح من نهاية معاناة فتيحة الوشام وتحول واقعها القديم إلى واقع جديد: "تشعر بأنها سعيدة رغم هموم الطلاق المفاجئ، ومستعدة على مواجهة الأيام الآتية . لقد استعادت الثقة في نفسها. أخبرها جارها بخدة الواقفي رئيس مصلحة المستخدمين بمؤسسة سياحية، بقبول طلبها وستستدعى لمباشرة عملها" (مفلح، 2023، صفحة 140) لتحطّ عند نهاية مغامرة للمتوقع؛ إنها الآن فتيحة الوشام، الوشام المطلقة، الوشام العنيدة... الا يعلمون أنها عادت إلى حي القرابة ... وأن عهد صاحبة فيلا (النورة) قد انتهى بلا ريب إنهم لا يعلمون أنها منهم وفي حاجة إليهم فلم كل هذا الحقد عليها؟" (مفلح، 2023، صفحة 144)

لقد سارت شخصية فتيحة الوشام وفق خط مواز لسيرورة أحداث الواقع في الجزائر، ما يجيز إلى إعادة إنتاج الايدولوجيا المبنية على العنف والانتهاز والإقصاء أي عملية الالتفاف حول الواقع بالايديولوجيا، غير أن الروائي حول نهاية فتيحة الوشام من استمرارية الانهزام والعنف إلى ترسيخ قناعات مغايرة اتجاه الآخر السائد في الذهنية التقليدية بالمخلص/الزواج والأنثى/ فتيحة المهمش والمغلوب، الانتهازي، برفضها عرض محمد الراشدي

الرجل الثري بعد طلاقها من أحمد معاليش، وانطلاقها في عالمها الجديد القائم على الحرية والعمل إلا أنه وبقدر ما في هذه الانطلاقة من رؤية تدعو إلى الارتكاز على الأنا وما تمثله من تطلع نحو نهضة معرفية نسوية، ورفض تحويل رابط الزواج المقدس إلى مؤسسة الزواج، يجب النقطن إلى الجانب السلبي لهذه الايديولوجيا المضمرة من إنتاج امرأة مثقفة مستقلة متحررة بأبعاد ايديولوجية، في ظل مستجدات العصر بعيدا عن استغلال الجسد واستقلاليته، حيث ترفع محمد مفلح عن تعريضه إلى خلق حرية بأطر ثقافية احتراماً لمكانة المرأة الجزائرية.

المسؤول التقليدي: مثل أحمد معاليش الفئة المسيطرة والمستغلة لمؤسسات الدولة، والمتعسف في حق العمال وصراعه على النقابة، وقد أسهم في تشكيل صورة المسؤول الكلاسيكي إلا أن هذه الصورة سرعان ما يشوبها الاضطراب والتوتر بعد أحداث 1988م، وتداخل المسارات الايديولوجية وغلق المؤسسات العمومية وتسريح العمال وظهور التعددية الحزبية والانفتاح الاقتصادي ... انعكس على أوضاعه الاجتماعية والنفسية والاقتصادية بشكل متسارع مصبوغ بالهوس والغرور الذي امتد إلى تحقير زوجته أمام الجيران والأصدقاء والتباهي بثراءه، إنه شخصية ظالمة منحلة الأخلاق، إذ يقدم على اغتصاب خادمتها اليتيمة الفقيرة مستغلا ظروفها، ورد تقديم هذه الشخصية على صورة أثرياء المرحلة الكلاسيكية تصرفا وزيا بلباسه الأنيق الكلاسيكي وحمله حقيبته الجلدية، تلك الرفاهية القائمة على استغلال العمال وخيرات الدولة زمن الحزب الواحد، حيث لا ديمقراطية وتبني ايديولوجيا القمع ضد العمال المقطع السردى من ما يدور في مؤسسة الكافية ينقل موقفه وموقف هذه الفئة من نقابة العمال جاء في النص: "مقداد ما زال كعادته مصرا على النضال رغم مخاطر هذه المرحلة الصاخبة، لقد ساهم في إبعاده عن النقابة ولكن مقداد السويدي لم يستسلم، وظل يكتب التقارير بدرجة أثارت انتباه محمد الراشدي ... لم يعمل بنصيحة محمد الراشدي بل أخبره أن مقداد السويدي يساري متطرف، وقد يجعل من المؤسسة ساحة لنشاطه السياسي... حاول أحمد أن يطرد المخزني مقداد ... وبعد تفكير طويل اهتدى إلى الخطة شكلت لجنة تحقيق بدأت عملها بمراقبة وثائق المخزن ... فجأة أصبح مقداد سارقا ومحرضاً على الفوضى" (مفلح، 2023، صفحة 74)

يعكس المقطع الواقع الكابوسي للعمال على نحو يسجل محمد مفلح الفئة الوصولية في تعاملها مع المثقفين الثائرين على أوضاع العمال بالقمع وتلفيق التهم، مصورا سطوة القمع وصورة الآخر/صاحب الموقف الإيديولوجي المعاكس والمضاد إيديولوجيا حتى صار عمقا خاصا ومركز ثقل حيث يتخلص أحمد معاليش من مقداد السويدي بحلّ الفرع النقابي وترشيح أسماء أخرى للانتخابات النقابية، يبرز اسم أحميدة الرفاف الشخصية المتسلّقة الوصولية التي ستقضي على أحمد معاليش، وبانتقال الصراع بينهما بدعم من محمد الراشدي؛ هذه العلاقات المهوسة بالفوز "بالكافية" وامتيازاتها أشرع الواقع السياسي والاقتصادي الفاسد الذي مرت به الجزائر فترة التسعينيات، أحميدة مزوّر الشهادة الجامعية يتقلد إدارة "الكافية" متوارثا التصرفات الاستغلالية لأحمد معاليش ويتحول من مناضل لأجل العمال إلى تبني إيديولوجيا القمع في إشارة من المؤلف إلى تجذر الفساد المؤسساتي، وأن الحل بالتغيير، خاصة وأنّ المؤلف لم يجعل من مقداد السويدي شخصية انهزامية بل مناضلة إذ لم يستسلم أمام أحمد معاليش بل أثبت براءته من التهم وبعد سلسلة من الإجراءات القانونية والمحاكم وبعد أن أقنع العمال والنقابيين بأنه ضحية مؤامرة دبرها مدير المؤسسة وأحميدة الرفاف، عاد إلى منصبه غير أنه لزم الحياد ورد ذلك انطلاقا من (ص 75 إلى 76)، يتضح مدى تشكيل الشخصيات بوعي إيديولوجي بين حدّة الهجوم على الاشتراكيين واليساريين فترة العشرية السوداء وما حملته من تحامل وقمع للأيديولوجيات الغير مسايرة لإيديولوجيا الفساد من جهة وإيديولوجيا العنف من جهة أخرى.

لقد شهدت مؤسسة الكافية توترا وصراعا بين المدير (أحمد معاليش ثم أحميدة الرفاف) والعمال والنقابيين والممثلين لحقوق العمال وعمّها صخب كبير، كان العصف قد اشتد بين الوصوليين والمناضلين إضافة إلى بروز شخصية محمد الراشدي الذي أصبح صاحب مؤسسة خاصة إذ يفتح جبهة على أحميدة الرفاف وهكذا تتجانب العلاقات بين الذات لتزداد توترا وتتأفرا لتتعازل مستقرّة بهوسها السلطوي "أغلق أحميدة الباب على نفسه رافضا الاتصال بكل الناس، لقد شعر بالخوف المدمر، سينتقم منه محمد الراشدي إذا لم يلب له رغبته، ولكنه الآن محاصر بين طرف مقداد السويدي وجل العمال، فجأة سمع دقات

متواصلة على المكتب دخل يحي النوي وأخبره أن العمال تجمعوا أمام القاعة مهددين بالإضراب..." (مفلاح، 2023، صفحة 133)

وتحول الصراع بين الشخصيات من صراع شخصي هو الانتقام إلى صراع أيديولوجي، لذا تغرق مؤسسة الكافية في مستنقع الانتهازيين، إذ يظهر محمد الراشدي المستفيد من التغيير الاقتصادي الجديد هو الخوصصة والطامع في وسائل مؤسسة "الكافية" لاستغلالها في مؤسسته ممثلا الطبقة الاستغلالية بحضوره السافر، هذا التحول المفاجئ لمحمد الراشدي من وجهة نظر المؤلف المستند إلى الأيديولوجيا الاشتراكية اتجه بها، كما يبرز ومن رد فعل حمد معاليش موقف محمد مفلاح - المثقف المتبني للاشتراكية - احترامه للتيار الإسلامي فترة التسعينيات حين عرض عليه عباس الحمي الانضمام إلى جماعته اكتفى بالحياة السياسي، وبإشارة ذكية من خلال استرجاعه لتجربة عبد الرزاق الفرائي المحمل بالديموقراطية الغربية كونه درس بجامعة فرنسية ينسل موقف المثقف الجزائري محمد الراشدي الذي مثل صوت محمد مفلاح الرزين في مجال التجربة السياسية من دون صدام أيديولوجي مع الآخر/الحزب الإسلامي جاء في الرواية: "كان الرجل مثاليا ولم ينس ما قرأه عن الثورة الفرنسية والديمقراطية الغربية. حاول محمد الراشدي أن يشرح له المسيرة الثورية للجزائر وطبيعة الحكم في الدول الوطنية المتحررة من نير الاستعمار، كما أراد أن يفهمه أن للمجتمعات الإسلامية خصوصيتها وقال له أن إشكالياتها لا تحلها الديمقراطية الغربية التي لها منطلقاتها الحضارية والثقافية الخاصة بدول الغرب ومنها تلك اللاتينية التي تنير النقاش الحاد والصراعات المخيفة" (مفلاح، 2023، صفحة 71) فالإ جانب انتمائه فكريا إلى أطروحات اليسار العربي نجد محمد مفلاح يمارس دور المثقف المحاور المتسامح مع المقولات والبنى الأيديولوجية المستفزة والمتشنجة، الشيء الذي انعكس على تجربته ورؤيته الإبداعية.

ومن هنا نستنتج أن ثورته على البناء الفكري والفني الروائي قد أحدثت نقلة مهمة على مستوى الرواية الجزائرية المعاصرة فكرا وأسلوبا وتقنية، كما نجد أن الإشكاليات والقضايا المطروحة مستمدة من تجربته السياسية ومن تاريخ وراهن وطنه كما عايشه تنافرا وتجانبا مستمرا بين الأنا والآخر الذي يمثل تفرعا من تفرعات المجتمع الجزائري الفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية وحتى الجغرافية لما للبيئة من خصوصية أيديولوجية.

عرض التناقضات الحادة في منظومة القيم داخل المؤسسات وتغييب دور السلطة ليفسح المجال للظهور للفئة المهمشة - الفئة الوطنية - التي تتحد من أجل الحفاظ على المؤسسة "الكافية" حيث استطاع فضاء "الكافية" أن يجسد نمط الحياة الاقتصادية التي يعيشها المجتمع الروائي الكائن فيه ومن تقريب مسافة الروائي بين الحقيقة الانسانية كما هي في الحياة" (مرشد، 2005، صفحة 217) هذا التشابك والتقاطع والتناظر بين ذوات الرواية منبعه سؤال المصير المقلق زمن الفوضى السياسية الناتجة عن ضبابية الوضع السياسي والاقتصادي الجديد حيث يتآلف النقيض مع نهاية الأحداث حين يندم أحمد معاليش عن ظلمه لمقداد السويدي وطلبه العفو ثم ابتعاده عن المؤسسة، وتضامن العمال وطردهم لأحميد الرفاف الانتهازي من "الكافية".

وانتقال محمد الراشدي إلى القطاع الخاص، وهي دلالات على انقلاب الموازين السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

4. الخاتمة:

لقد كشف سياق النص القائم على الصراع بين الأقطاب ثم تكيكه بليونة فنية المجال أمام محمد مفلح لعرض قناعاته السياسية والايديولوجية، لإثراء الزمن التاريخي الذي يحمل معاني الاختلاف والتعارض والتباين الفكري في المجتمع الجزائري، وتجسيد حلم التغيير الذي يراود الفئات الأكثر استفادة من النظام الجديد. ومن يتبنى طموحات من بعض رجال السلطة. (عباس، 2005، الصفحات 308-309)

كما يمرر خطابه الخفي عبر ذوات الرواية البديل الإيديولوجي لسياسة الجزائر الاقتصادية وهي تبني نظام الاشتراكية وضرورة المحافظة على النسيج الاجتماعي برفض استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، حسب قراءته للمجتمع الجزائري وأيديولوجيته مؤلفا بين مكونات التقنية السردية المستجيبة لفكرته ذات الترميز الإيديولوجي بفسيفساء ناصعة استمد نسغها التاريخي والاقتصادي والسياسي في الجزائر مصعدا من وتيرة التوتر وتصعد العلاقات بين الذوات وتسارع الأحداث عازفا عن مبدأ النهاية المأساوية أو المفتوحة، إضافة إلى اختياره لغة سرد تدمج بين اللغة الإبداعية والمصطلحات الأيديولوجية ما أفضى إلى

اندغام الفني بالإيديولوجية بغية جذب وإقحام المتلقي في أجواء العالم الروائي رؤيته الأيديولوجية لحل أزمة الجزائر فترة الألفية.

تقدم الرواية تموضع الثنائيات الضدية مقابل السلطة في مواجهة إيديولوجية انبنت على الاستغلال والوصولية، العنف والانتهازية، التسلط والتمرد، النفعي والمناضل الاشتراكية والرأسمالية، الحزب الإسلامي، الحزب الواحد التعددية الحزبية، مقابل تموضع الأنا والغيرية بتلونات داخل مجتمع مأزوم يسوده الاعترا ب وانهزام الذات (الأنا/ الغيرية)، أمام ضغط المتغيرات وسط هذا المواقع يحاول محمد مفلح رتق العلاقات ببعث ذلك الماضي المشرق بالايديولوجيا الاشتراكية في إشارة إلى بلسم الاشتراكية علاجا لجراح وتمزقات الراهن.

إن طبيعة الصراع بين الذات (الأنا/ الغيرية) قوامه تضارب المصالح الشخصية، واقضاء فئة المثقفين والتضييق عليهم من قبل مزوري الشهادات الذين استغلوا الفراغ السياسي لاستغلال مؤسسات الدولة.

بعض المقاطع والذوات ناقشت قضايا الخطاب الإيديولوجي المتقاطع مع آراء وأفكار محمد مفلح خاصة فيما تعلق بالعمال والنقابة وفي علاقتهما بالسلطة / الإدارة.

تعد علاقة المرأة بالسلطة من القضايا المهمشة التي أعاد محمد مفلح لها الطرح وناقشها في مسعى منه إلى تبصير المجتمع بالقضية خاصة وقد تجاوز بعرضه للذات النسوية التي تسعى لترميم ذاتها من تصدع ممارسات ذكورية مهوسة بالسلطة والانتهازية تحكمها مرجعيات نمطية إلى منحى ذا اتجاه إنساني جعل من التحرر الايجابي منقذا لها، رافضا أن تكون في مرتبة دونية.

تمخض الاحتكام إلى الذات الثنائية عن كشف المنطق الداخلي للنسق الإيديولوجي والبناء المعماري للرواية، كما أتاح للقارئ التعرف على طريقة محمد مفلح الإبداعية في بالاقتراب من واقعه وإفادته من الراهن المأسوي وتحويله إلى آفاق واسعة بقوة النضال لذا ختمها بانتفاضة العمال مشبرا إلى الانتخابات في نبوءة إلى إحلال التصالح والتعايش بين الإيديولوجيات الايجابية المتباينة.

6. قائمة المراجع:

- إبراهيم عباس. (2005). الرواية المغاربية تشكيل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي (الإصدار 1). دار الرائد للكتاب.
- إبراهيم مذكور. (1883). المعجم الفلسفي. معجم اللغة العربية. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- احمد مرشد. (2005). البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله. بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- حسين العويدات. (2010). ، الآخر في الثقافة العربية في القرن السادس من مطلع العشرين (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار الساقى.
- سميرة البدرى. (2005). مصطلحات تربوية ونفسية (الإصدار 1). عمان: دار الثقافية للنشر والتوزيع.
- صالح صلاح. (2003). سرد الآخر، الأنا عبر اللغة السردية (الإصدار 1). المغرب: للمركز الثقافي الغربي، دار البيضاء.
- عبد الحفيظ بن جلولي. (2008). الهامش والصدى قراءة في تجربة محمد مفلح الروائية —دراسة. باب الواد، الجزائر: دار المعرفة.
- عمر بن قينة. (1995). في الأدب الجزائري الحديث تأريخاً وأنواعاً.. قضايا وأعلاما. الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
- فاطمة فضيلة دروش. (2012). في سوسيولوجيا الرواية العربية المعاصرة (الإصدار 1). الجزائر: دار التنوير.
- لحسن أحمامة. (1999). القارئ وسياقات النص. المغرب، بوسكورة: دار الثقافة، الدار البيضاء.
- محمد مفلح. (2023). الكافية والوشام (الإصدار 3). الجزائر: دار الخللونية للطباعة والنشر والتوزيع.